

شهوة لا تجفُّ



شعر

سالم أبو شبانه



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠٠٥

كتابات جديدة

* الأعمال الواردة للسلسلة لا ترد سواء نشرت أم لم تنشر .

* تسلم الأعمال باليد إلي إدارة التحرير، أو ترسل بالبريد باسم:
رئيس التحرير: القاهرة - كورنيش النيل - رملة بولاق - الهيئة المصرية العامة للكتاب.

إهداء

إلى الكائنات الجميلة
مازن
أسماء
شكراً لأنكم وجدتم فى حياتى

سالم

«تعيش وتموت وفقراً لما يجرى داخلك، ذلك الذى
لا يستطيع أحد سواك أن يعرفه»

وليام ساروريان

«إن الدم ليتفجر من فمي مع الكلمات»

«جلال الدين الرومي»

مواجهة

كنت أستلقى على حافة، مدلّيا سيدىّ فى ماء بحيرة ضحلة، علقت بلسانى أسماك مفترسة وحطّ غرابان متحفزان بحلقى.

بينما مطر وحشىّ يهمى داخلى، فاضت المياه عن حاجة الأوابد، **هذه التى أقامت مهرجان الصخب والعنف** بأودية صدرى، سالت دماء طازجة لوثت الكتب العتيقة، فإذا مدونات واثقة تعبر النفق.

أنا سيّد اللغات، أجتاز الزمن متخمًا بالقصص، فتشرب الجذور فيض نقمتى. وكنت تبحث عمّا يهبُك بهجة عابرة: انهمار نساء بماء الشهوة، انفلات سنونو من صحوة الشمس، الاستكانة لمطر الذكريات.

ما من سبيل يا رفيقى، ما من سبيل، فألتفت إلى ما تحاشيناه طويلاً.

ها نحن، أنا وأنت أمام الحقد المرّ والغضب المدمدم.

فاستعدّ. فعمّا قليل سنهوى إلى هوّة سحيقة بعدما نفلّ الحقد وبكلٌ الغضب تحت ضربات الرعد المدوّى.

هوينا، كلانا هوى، وحفيف أجنحته المخَملىّ يرفُّ ناصعاً، كرائحة أنثى.

فى صباح كهذا سألنى وجبته الطازجة، وانسل كحفقة ضوء جاحدة.

حين حدقت بقاعك المبتذل المستباح، صرخت: يا ويلتى! كم كنت جميلاً! بريئاً كشوة أولى أنت ما خيرتنى أيها القاسى. أنت ما خيرتنى. هل كنت تعلم صمود كاهلى؟!

.....

آه.. آهااااه.

ألم يباغتنى، الطيور

دماء، ألم، الطيور تنهش رأسى

أغثنى يا ساقى! أغثنى

أغث....

سيرة رملية

هكذا يقوم العاشق نفسه، رمانة ترقص على حافة ملساء وجحافل تمل مدرج تعتلى المسرح معلنة بدء الفنتازيا.

رأى نساء إغريقيات يقذفن المتوسط بزيد الشهوة، يولمن نعناعاً بريّا لشمس خريفية، إذ يتلصص عليهنّ بدو تتساب حدود المتوسط مبتدأ الهجرة.

صارخا: أيتها النساء الأشوريات، هاجسدى اليابس، اغلسنه بحليب عشتار ونكهة الكافور والشيح، ارمنيه بحقل النجوم والحنطة، لأغمس إصبعى بأرض تعبد نزواتى كما تعبد الريح.

اصعدن سُلّم الغيب الحجرىّ واهتفن يا سالم يا ساااالم، لتتهر أمى الرعد وانهمار الرغبات العابرة سأغبط حسوناً متزناً على حدٍّ صوتها الممعت بخيال رملىّ ناسجا الماضى

وحشة طاغية.

أيتها المتوشحات برداء العشب المطرز بصخب.

القوافل وابتهالات عابرة: انقرن الدفوف لأحرر قمراً مخنوقاً بجبينها.

ها قلبى، اشطرته نصفين، نصف لبحر طاغ كجمل هائج، اطعمنه الأمواج طعاماً مرًا، كحسرات على شفة يابسة، و نصف لى، أسطر بشغافة مرثاة بأحشاء جحيم يقتا ـ حكايا آثمة.

لآثام عبدوها بكهفهم انحر قرباناً.

.. كان الصحراوىّ واقفاً بدائرة ضنكاً، يغرس رمحه، لتتفجر دمامل صغيرة بظهر الأرض، فتتفق أرواح طيبة بزخم إيقاع ينسال: ترانيماً ابتهالات، صرخات، تسقط بحافة بئرلا تفيض عند اكتمال القمر ماء أو دما مسفوحاً.

كنشيد متصاعد من حناجر ذئاب متكئة على بساط الأرق متمهلاً بأكتاف العابرين، ينتظر بزوغ المراوغة، يصعد آن يقدم العاشق نفسه تفاحة يثقبها هذيان أزرق.

للعابر فلوات مؤطرة بالأساطير، والتعاليم.

غاسلاً قلب الكائنات بماء أخضر، مؤامرات تشتعل بحلق سنوات عجاف، تصلبه الريح المبتكرة بخصر غراب، يرتحل خطبة عصماء، فيبتهج الفريسيّون والطغاة.

هذا مبتدأ

أيها العاشق:

تثبت

حسرات غائبة

حين انطلقت من قدمى بداية الريح، لم آلف مذاق النشيد، فكرت، ربما الصحراء متوعكة، بحاجة لقناع، تهش طيوراً غريبة بعصا الضجر، انبعجت ذكريات، فأطل غيم وحساسين تنقر بهجة غامضة وإذا البدوىّ ماضغا حسرات غائبة، برمل أخرس يخط تعاليماً، على جرف هار يصيد لهجة هشة.

ناسجاً دمه منمنمة شرقية، ليحط الحمام على قرنى ثور مستوحش، تناوشه نساء الأساطير، صاعداً الأغانى ليورق الحرف بخطى تطارد قافية شاردة والجالسة بأفق رملىّ، يسوقها هاجس شمالىّ لتكشف عن مرمر، بلجة من وهم.

الشــمس الدائرة بفلك جنوبى تهــتف: مـن ذا القــدام بشـرفـة الغيب؟ تحـثـه الطيـر الأبابيل، ناثرة بـذوراً تصـعـد أفاقاً متخمـة، فتشرئب أودية وأنهار من أجل ذلك حرمناها عليك. فأبدأ بما تيسر من ماء القلب. أنت الكافر!

تظل نجماً أسوداً بليلهم، حين يضيئوك تسقط.

وكان البـدويّ على رحل ضـامـر، يضفـر أنشودة الفـراغ بلحم النازف، ليعيد الريح إلى شفة يابسة. تمزج الطقوس والتعـاويذ والطلاسم... تنمو جـراح تبـرأ، حـين يـدلهمّ الليل بسرة الصحراء.

هروب

على صهوة التذكار

أفتش جمجمتى عن إعلان

أصدّر به مفاجآت

صارماً، وصادماً

أنثر على الرمل آيات

أغزل الأنهار خيطاً نحيلاً

أخنق تصورات عن صحراء

سجنت نفسها داخلى

فأصابها العطن

نمت على حوافها فطريات شرهة

تقتات الأساطير والبلاغة

وتسقط بفخ الخديعة

هذا الفضاء حقل الأسئلة

أبى ينهرنى، لأنى أخبئ رملاً تحت جلدى.

وأنثره بسريرى، وأراقص الغزالة التى اصطادها بالأمس وتتكر لها، أمسح دمعها، فتلمس كفى ووجهى، ونضحك حتى البكاء.

ولأن نهدها الأبيض طار من كفى واستوطن غابة الأسماء، سال الحليب على شفتى الغضة وبلل ثوبى.

أحبت أصابعى النحيلة، وعصير الفاكهة، وكرهت عيون الآخرين. حين ضبطنى أحتسى الألوان بقاعة الدرس قال: تغذى جيداً يا عود الحطب.

بكت، فأدركتُ أن الجحيم الآخرون.

تتكر لأربعين عاماً من الحفاء والوحشة، أقام حاجزاً حجرياً، لم يدرك دور الجينات الوراثية، صار عصبياً يكره النوافذ، ويسعل إذا شاهد الجمال، تعبر أفق المحطات الفضائية.

الغزالة تستعير لهجتى، وحنكتى فى توجيه العواصف وإشعال الحرائق، وتقول عيناك جميلتان يا صغيرى.

وجسدك وعول نافرة. لماذا تخيفنى ؟!

سرقت سكيناً من منزل جارا، لأطعن به الأب الجالس فوق عرش أبوته الموحش. ولأنى لم آخذ مصروفاً جيداً قررت احتراف الكتابة، والبحث عن قبر أمى التى قررت فى غيابى، إنهاء متاعب الربو، وخصومات الأقارب، وضوضاء الأحفاد فى شتاء بعيد.

هل يمكن تسلق حبال الضوء بحثاً عن ملائكة تجوب الفضاء المتخم بآثام وأحلام ومحابر؟!

فكرت أن أقرأ الفاتحة، لأفتح أبواب قصر الغزالة النائمة بسريرى، التى تكره عيون الآخرين.

وعيناى جدل الشهوة والرجاء، اصطنعتهما لنفسى وللآخرين شرودى وما ملكت يداى. وللغزالة ما اصطنعت لنفسى ويمينى، وروحى المعلقة كبتدول، تصيبها البكتريا، تتحلل عبر دفقات حنان فجٍّ، تصرخ: أنا ريح أبحث عن نار تشعلنى.

ما حاجتنا لهذا الاعتراض؟! فإمكانية إشعال الحرائق سهلة ومُؤَمّنٌ عليها.

أنا والغزالة

وأبى.

يحاول كل منا الوصول للآخر. أبى لا يريدنى،

والغزالة لا تريده، وإيّانا فى هلام على غمر

نقم أصابعنا أشرعة للضفاف البعيدة.

أنا والغزالة.

وهذا الفضاء حقل الأسئلة

٢/ شباط / ١

محاولة أخيرة لكتابة
سيرة الماء

سادراً فى الغىّ، أجتاز اللحظات المنهارة، هكذا يبتكرون أسلحة الدفاع عبر أنفاق لا تصل الضوء بالحقيقة.

كانت سلاحف عرجاء، تناقش سيرة النهار الغائم بانحياز تام، فأسلط الريح على قطعان أقمار تتسكع فى الفضاء، لا تؤمن بالخرافة.

ولأننى سيّد الخرافة، يعبرنى الماضى لنصل مدية قررت أن أتدرع بحروف التفخيم، ومدونات الهجاء، لأرد مؤمرات عبر الهواء الذى يراود رمالاً تجزُّ بأسنانها ذيل التاريخ العابر أوقاتاً مكدسة بصفائح (الكوكا).

تساقطت فى فصول تستلقى فى الخلاء الذى يطوّق خصرى، تضيئه البراقع والمنمنمات الزاهية أبحث عن

«سُلمى» التى تصعد مجرات التوتر والألق مسيّجاً قلبى بالخداع وشهوة الخراب، لأهيئ ممرات عبر جبال الشمال، أواصل قرض أعمدة «سدوم» التى تصعد مصيرها بعناد بغل.

هل أتنصل من تعاليم ينخرها السوس؟ إن تأطير ملامح تثبت عبر هبات الخيانة خطوة أخيرة لأكتب سيرة الماء فى عصر أخير.

أنا لا أعى حكمة الماء، لتدخل الصحراء جلبابها المهترئ.

سيطراً على حواسى أكرسها لبيان القادمين بأصلاب تتحنى أمام صولجان الرغبة العارمة لتكون سِيرُ تنزل حقل الضلال.

«إنه ليس بضيق، ولا بمرض طارئ إنه أنا»

جان بول سارتر

يجئ مخفوراً بهزائمه

يجئ منذوراً لهزائمه، نذيرُ الوحشةِ والزهدِ بسيطاً يتقدمُ ببهائه الفظِ وشرودهِ الذابلِ ها هو كعواءٍ نحيف، يبصرُ الطريقَ بأذنهِ صاعداً البراى ملهماً برائحةٍ تتوجسُ ما يحيقُ بها من آياتِ النصرِ المبين.

يراقصُ الريحَ مفتوناً، ليبلو عَضَةَ الجوعِ الفاتكةِ شهوةً تتحسسُ صدرَ الأرض بدهشةٍ طازجةٍ ويمضى مخفوراً بهواجسهِ الحمراءِ، ليجلس على قارعةِ الطريق.

الفراغُ سّيدُ الوقتِ، وحده، وجوعٌ فاجرٌ وحده، وشهوةٌ تتركُ خيوطَ لعابها على المشهد.

... ...

نائمةً في سرير الرمل، تتوجس رائحةً نفاذةً تسعى كحيةٍ إلى دمِها الهاجعِ بدفءٍ حميم تخدرُ حواسها المرهفةً للخطرِ المبهمِ.

...

ها هو يتقدمُ ناتئاً كجذعِ شجرةٍ ضامر، نترمى عليه عباءةَ فتنتها، وتلوذ بضعف مدروس.

... ...

... ...

سينطلقُ ملطخاً برائحةٍ غريبة عنه، مفعماً بحسِ النصر، فخوراً بجراحهِ، يمشي الهوينى إلى صيدٍ قادم، يرميه بهزيمةٍ فاضحة.

٢ تشرين أول / ٢٠٠

قيامة

يا سـيّدة نسـاء العـالمـين! تهـيّئ وتجـملى لحـضـورى الطـاغى، فـأنا ذئب أعـمـى، تشـدهنى، وتـربكنـى النعـومـة الباذجة، أسيـر مهتدياً برائحة تغزونى تشعل دمى، فأمضى عواء نحيفاً يمتص الأرق.

أقـيـمى عـرس الوله بقـدومـى البـاهر، أجئ مـخـفـوراً بكنوزى. تلك سـيـرتـى المـرّة. لأنهـشنّ لـحـمـك بأظفـارى، ولأحتكمنّ لحكمة القنص، فحفزى للمطاردة.

سأجلس قرب الزاوية، ربمـا نحتـاج قليلاً من المـوسيقـى الفاترة، لأرى بهاءك يعبر فضاء الغرفة الغافية على السير. سـأرى بأمّ يديّ رقصتك المـدهشـة أتقدم مـدعومـاً بشفتىّ واللسان، مرجعاً لبهائك فخره المتعالى بذاته.

رويدك هبينى بعض الوقت، لأدخل جسدى أعتاب الرقصة، متوائماً مع إيقاعك الصاخب صاعداً منحدر الماء فى الشلال الهادر.

لأغرسنّ نابى فى العضلة المتوترة، أسفل ظهرك العارى، فيدفعنى تأوّه يغرى بالغواية.

أنا من غوىٰ وضلّ وما أهتدى! متاهة سرّتك تفتن سرب الفراش النهم، سأعتنى به مصغياً لهديك جلدك الوحشىّ، تفجئنى الزهرة المستديرة بتويجها المندى فأنتبه للطعنة الماكرة.

أنا ساحر أدمن الخرافة، أمشى محفوفاً بالغجر الفارين بدمى الراكد خلف بركة الوقت.

لا ذكرى لى ولا سيرة لى سوى ما عضضت بنابى المترع بهاجس الدماء.

وتقاومیننى بلهفتك الضارية، نمورك حرة تعيث بجسدى شهوة، تجز أعشاب الحلد المندى، بأحماض طازجة تمشى الهوينى على صدرى المشرع لغزوك الرؤوف.

هذا طقسك خارج التوقع، نصير الفشل برصد أفعالك، مرّة أنت شفة تمسح ما علق بجسدى من خبرات وأفكار، ومرّة أصابع تعزف وحشيّة الرصد المبين.

يا سيّدة نساءالعالمين، يا سيدّتى، ذاك عبورك المريع بأجراس جسدى قيامة، أيا سيّدة المنام الكثيف

٣ ايلول ٢

مزامير مقصوفة

أنا سقط المتاع
ومتاع امرأتى الطيبة
أقامت ذكراى بحقويها

وزادت الفخاجَ
فخاً جميلاً.
ما الذى يدفع رجلاً
إلى شراك امرأة؟!
حس الخطيئة الأولى .

أنا العاشق المطرود

من الجنة..

إلى شوك الحروف .

البنت فى الغرفة الأخرى

وحيدة

أسمع نشيج رغبتها

وهديل نهديها بحرير الملاءة

هاجمتنى بعريها،

تدرعت بلسان بدائ

فذابت بفمى واغتسلت بريقى

حتى تكسرت جرار صرختها

على شفتىّ المنداة

... ...

فى الصباح رمتنى بفرط عفتها.

أبحث عن نهد

يملؤنى

بعدما التهم جذور الماء

سأحتض بطن الأرض

وأنام...

أسدى معروفاً للقادمين

بعد.

أنا ريح

أبحث عن نار

تشعلني.

رجل، يقضم لسانه ملتذاً

يجثو على مذبح الكلمات

فتهوّم أشباح بحدقتيه.

اشتهاء

وعول الفوضى ترعى وقتك.

تحاول أن تهندس هذا الضياع، تسبّح البحر بكفين تحرث حقل النجوم، تلهو بقضم أصابع امرأة جميلة ... ينساب رمل، يشكل ذاكرة لا تبتهج إلا قليلاً ونساء شبقات متدثرات بأقنعتهنّ.

هذا المدى انفلات خادع، ريثما ينتهى الهمجى من التهام قلوب نساء ساذجات.

طاغياً، كمطر مباغت، تعجن الكلمات، ألوانها، همهمات. وتهمس فى آذان العذارى إثمك وتمضى، جناحاً فى الريح.

... تحتدم الألوان على قاع العين

الأزرق، مظاهرة السماء

الأبيض، قطيع غيم يرعى المدى الخريفىّ

الأصفر، جدارية من سنابل

مضاء بأسود، تنسج تفاصيل حلم:

«امـرأة تلقم ذئبـاً نهـدها على سـرير من مـاء راكـد موسيقى آثمة ترقص جوقة أشباح، غراب.

يمدح الخراب.....».

شظايا تتناثر، تسـتحيل بسـاطا من عـوسج يفتـرس جمجمتك، وأنت تقعى بصمتك الوثنىّ أمام نار ترعى ليلك الممستباح لرمادى، لريح تجلو الخلاء المتواطئ، مع إطار اللوحة.

... ثمـة امـرأة تضبط الإيقـاع، لم تكن جـميلة لكنهـا بأخطاء صغيرة، ونزوات فتحت شهية الحياة ذات مساء.

لابد من ردم هذه الهوّة الصغيرة، والاستلقاء تحت حقل النجوم الصحراوية التى تلحس جسدك اليابس.

فيفيض.. قطرات ندى حارة ترمى بتاريخك القبلى إلى التحلل.

....

قطيع ذئاب يعوى

وأنت تشتهى أن

تكون...

طقس مشرع الباب

أنا فجيعةٌ تمشى على قدمين، أسيرُ مطارداً بأوهام ووساوس دبقةٍ، فأكرس حواسى وأدربها على استقبال هزائمى المنتظرة بحفاوة كأبناء لقطاءٍ.

أمشى محفوفاً بأحلام ملوثة الوجه، لا أضع يدها بيدى، خوف أن يرانا الناس.

وأنا الغريب! فمن للغريب؟!

أبهرُ النساءَ دوماً، بارتباكى ووسامتى، فيعطفن علىّ كطفلٍ صغير، ويحاصرننى بمحبتهنّ وما يدرين بأن شهوة العشقِ والخراب تجتاحنى هاجسى، أن تقفز دائرة الخراب من أعماقى لتصفع هذا العالم الفظ على مؤخرته، وتطرده ككلب أجرب إلى الشارع الموحش.

سأصرخ: أنا سيّد الخراب، فيرد العدم: أنا سيدٌ الخراب.. أزهو مبهوراً بإنجازى الفذّ.

ثم أجلس على حافة الكرسى، أعجن ما يسّاقط من صلبى بطين الأرض، أخلق كائنات على هيئتى، تسند الكرسى، فأسترخى.

قد أغفو قليلاً، كذئب، أو أحرك الهواءَ الراكدَ مثل كرسى مكسور الأرجل.

ربّما أخرج ذاكرتى، وأفتش أدراجها المنبعجة فيجتاحنى المللُ والحنينُ اللزج.

سأجر روحى من يدها، وأضعها فى محاليل حافظة لأشعر بهدوء صارم كمعبد بوذى، وأدخل طقس النوم المشرق، ببداية كوابيس تنام على ذراعى الضامر.

٢ تشرين أول ٢

أنفاق معتمة لا تجيد الحوار

الغرفة مباحة، وإله الليل ينشر جناحيه، يلقط ما يسّاقط أسفل النوافذ المغلقة، ويشيح بوجهه يخرج من جرابه، آهات، نداءات، استغاثة أخيرة، وخناجر تلمع، يرشها أسفل جناحيه.

سأقتفى حاسة ذكرى وراء رائحة مبهمة عبر دهاليز خامية، مدرعاً بلسانى وحراشف بدائية... وعليك، أن تعبر هذه المتاهة، فيتفجر ماء الحياة أسفل قدميك الوحشيتين.

ويكون ما يفجأ الوحيد وحيداً. انهمار الطنين والحذر المباغت والآيات: «المجد لك أيها القابع بعليائك مدعماً بعمودين رشيقين».

الوحيدان وحيدين وفارغين إلا من الغواية والنشيد المتصاعد عبر الهمهمات والدمدمات وابتكار الإصبع ترتيلها.

ستسير عبر الدهاليز والأنفاق المعتمة الرطبة: ما تسمع ليس غناء، ما من لغة، فاتكأ على أصابعك ما من ضوء، ما ثمّ إلا برق ما تكتنز بأعماقك الذى سينفد عمّا قليل.

الوحيد يتوحد فى صرخة صارخة فى برارى الروح، فهذا صقيع جارح كجرح مسفوح على حدٍّ مدية.

سيرشدنى لسانى، سألعق الجدران الرطبة، جاراً من أعماقى رفوف الذكريات المنبعجة، أبعثرها أمام هذه الروح الميتمة بصراع النهاية الغامضة.

لعلى أنتهز فرصة فأطعنها من الخلف، ثم أجلس مسنداً إيّاها بجوارى كى أشعر بسلام هادئ كصمت مقبرة ليلىّ.

هذه الروح القلقة المملة، لن ألتفت لها، فهى تعطل تفكيرى فى توجيه أصابعى.

ثمة مشكلة صغيرة! كيف أعبر هذه المتاهة بدون روح؟!

شهوة لا تجف

قبائلُ الغجر القارةُ بدمى، ترتحل إلى مدى من الوصايا، والحكايات القديمة. تختبرون صلابة الماضى بأسنان نخرها السوس. يقيمون عرسهم الصاخب بلهاث أصابعى المجهدة.

سأهتف: أنا راعى الفجيعة، أهش عليها بذراع فتية، تتوكأ علىّ لتبصر أعتاب الدور البعيدة.

بدمى يعيثون فساداً، يرمون بهجة طازجة بأنحائى فتغمرنى قشعريرة الرقص، وصراخ الفرح البدائى يتملل بالفضاء المشدوة.

الراحلون على الدرب قد دَميت أقدامهم، فيرمون عليه أمثولات، لتصعد عيونهم مرتفعات الوجد وتراتيل الغناء الدسم.

نعقد أكفنا على ولاء يروغ بصخب وحشيٍّ ينادون عليّ:
يا أيها المشغول عنا بنا انظرنا لنراك.

سلامٌ على الراحلين أبداً إلى شهوة الحنين التي لا تجفُّ، سلام عليهم أول الليل وآخره وأول المبتدأ بدمي الطازج.

حين تأخذني الكثافة إلى ثقلها، سيكون ظلام ينام على ركبة الحيرة، سأهندس أجزاء منه، وأنا أبصر دمي ينساب متغرغراً بالذكرى الوحيدة لتوجس مريع بخيوط البداية.

٢٦ / أيلول٢٠.

«ليس بسبب الموت نموت، بل عندما نصير فريسة وجه واحد من وجوهنا»

اندريه شديد

علاقة غامضة

فى وقت ما كنت مأخوذاً بهبات سعادة، لا أدرك كنهها، ما كان نشوة رائقة، دفقات من ثقة تخترق جدار الندم عبر فضاءمفعم برائحتى.

كنت عبوراً مريعاً لهاجس التردد، ريح أمام الجهات كلها.

يجب تفسير ذلك ببساطة متناهية، وأنا أفكر فى لمس ذاتى المستكينة على مقعد رخامىّ وحيد سأهبها من هواء النوم. أفتش جيوبها عن أسرار أو ترهات. أذكر غرامها بأشياء كهذه ذلك ابتكارى الفذّ.

أنا لا يدركنى سوى الشجرة أمام البيت، البيت الكائن فى أى مكان أو زمان. أناديها بأختى الصغيرة، أحيط

خصرها النحيل بيدى المحايدة. ربّما همس الجدار الذى أسند ظهرى له: إنها غاضبة اليوم، فالسماء تمطر بغزارة أمام النفس المتثائبة من الثقل اللامرئُ.

ما كان خلود بسيط يتلاشى رويداً: الصور المنقوعة بالرأس، الكلمات التى لا توجد بمفردها أو منفصلة عن مصيرها.

الموسيقى التى تغتسل بالفراغ الصامت.

تقول الشجرة: لا تعتن بجذورك، كى يمكنك البقاء حراً.

٨ آب ٢.

قصائد

◆ امنية

مازن يزركش صدر الورقة
بكائنات بدائية ويبرطم
أصغى مفتونًا..
يا من يدلنى على ابجدية بدائية.

◆ تردد

على رغم تاريخى القبلى
تجتاحنى الوساوس
فهذه الأنوثة تقف أمامى كغصة
يجب أن أعبر

◆ مقاومة

بدوىّ تقتحمه المدنية

يأتى بعمال النظافة ليكنسها من رئتيه

سيدعى ذلك،

ليترك مساحة لنظرة الأرملة

فى الشرفة المقابلة

وجريدة الصباح

ثمة هاجس يحتلّ يومه

فيحتمى خلف قناع القسوة.

◆ زوربا

أحاول أن أرقص مثل زوربا

ساقى لا تطاوعنى

فأنا لا أعشق سوى رائحة القهوة

وملمس الرمال تحت ظهيرة صيفية

لا أحب البحر

ورائحة زهر البرتقال

لا امرأة تتعاطف معى

لكنى أحببت زوربا

فيا أيها الرمح الإغريقى

ربما تشابهنا فى الطعنة الرشيقة

*** القصيدة**

الكلبة التى أسمع نباحها

يتضاءل

فأمشى مطمئناً

فجأة تهرّ فى وجهى

تنهش ذراعى لا أستطيع فكاكاً

هذه الكلبة إن تمكنت منها يوماً

سأضربها حتى الموت

لأستريح من هاجس النباح

حياة بعيدة

سينام على حافة النسيان قليلاً.

يضع خطوته الوحيدة على المنضدة بصدر المكتبة ولأن نساء مبرقعات يندلقن من بطون الكتبه سيدمن عادة القراءة والانطواء.

يضع نظارته الطبية على أنفه، كلما رأى صحراء تتسلق الحائط ويضحك بقوة، ولأنه يكره الاستيقاظ مبكراً، سيحمل مقلاعه ليقيم دولة فهذه الشوارع تكره مذاق حذائه، وحاسته إذ يتشمم الهواء كذبت.

كلما عبرت امرأة جسده، يرتدى كفيه فيلكزه هاجس هكذا، كان عليه أن يؤطر الماضى.

بقليل من الصبر، يعتاد على جلسة الميدان

واستفسار العابرين.

النتوءات التى تنمو على حافة صدره، لا تجيد الحوار

ينوى أن يتخلص منها، لن تغفر له.

لذا سينام على حافة الكنسيان، وحيداً

إلا من هاجس يلكزه، كلما تثآءب

رجل يكره الاستيقاظ مبكراً

فى صباح بعيد، كنت موقناً بأننى أحيا حياة أخرى تشبه حياتى الآن. كنت سعيداً بتلك الحياة.

لا أبرر وجوداً اعتباطياً، فالصحراء لوحة سريالية، أجهدت نفسى فى فك طلاسمها.

والمرأة التى رمت قلبى على أعتاب جسدها تذهب للطبيب تباعاً.

لماذا المناورة؟ الحياة لا تحب الورق، وسواء صدقت أم كانت من المتجملين، فالتجربة تستحق العناء. لا مفر أمام كل المتناقضات.

هل أحتمى بالصمت؟! أنا لا أفهم حكمة المباغتة بريئاً من الوقت أرقص بنار لامبالية.

تسألنى متاعاً! إن متاع الحياة شحيح، فأريقى ماءك أتلى تعاويذاً، ودثرينى نبارك لأطرد الكآبة والضجر.

أيتها الأشباح التى تستبيحنى، أسألك بعض الهدوء لأكتب القصيدة.

فى هذا الصباح، أحيا حياة أخرى. لست سعيداً.

مرارات تجئ على مهل

.١٠

بكذبة صغيرةٍ
أخترع عالماً
أجلس على حافة الوهم.
أقشر أصابع الليل
أدليّ قدميّ فى ماء
يفيض من أصابعى
أصطاد من صدرى
أسماك النشوة والفرح
أجففها أمام شمس صيفية
وأصنع تذكارى

.٢.

فى عصر يوم بعيد

دبرت مؤامرة صغيرة

لنزح ماء بحيرة

عبئته فى عينىّ امرأة

- كنت أحبها -

قررت غسلهما بماء البحر

فأصبحتا مأوى لطيور الوحشة

جذبت الشمس من رموشها

قربتها أكثر

لأجفف ماء البحيرات.

.٣.

الفتيات الصغيرات

اللائى كنّ يرقصن على حافة أصابعى

يتساقطن، فراشات سكرى بصدرى

أقدد أجسادهن

أعلقها بفراغ الغرفة المشدوهة
إذا جعت، أمضغ قليلاً منها
وأجرع نبيذ الرغبة الحارق
...
مشوشاً، أبصر بقايا حلم
يتلاشى...

.٤٠

فى المدى البعيد
امرأة يغويها البحر
وجل يسيّج الفراغ بعينهم
يمزجا الرمل بالماء
تقرأ تعويذة
تهتدى إلى كنزها
تلبس عريها
وتدخل كتاب البحر

رجل يسيّج الفراغ

شهوة لا تجف ـ

.١٠

ملتاعة تدخل الحياة ببهائها.

سذاجتها تشبه سرب عصافير أمام فزاعة، يؤلمها نهدها الأيسر بسبب الذكريات، فتحب المرح وتكره الكآبة.

البيت جحيم يجيد إظهار المحبة، وانتقاء الكلمات مداعبات البنات لا تزيل أملاح الجسد الصديقة الوحيدة، لا تستفز الروح.

سيكتب سيرتها الذاتية، لن يذكر ألم الأسنان جفاء الأم ثقل الوحدة، وعليه أن يهندس الفراغ حين تمرّ بالشارع وأن يهيئ لسرب الفراش مجلسه ويؤطر ذلك بكآبته.

تدهمها الذكريات أسفل الجدار، فتأوى لنخلة الدار الجاحدة، يبهظها جسدها، فتكره المرآة.

تخبره أنها ما عادت بحاجة إليه، وأن ما بأحشائها لا ينتمى الآن له.

سيدهشها ويربكها لما يركع أمامها باكيا، فتمور أشياء بداخلها.. تمضى فيطعنها من خلف، تلتفت إليه ممتنة، فقد أراحها من الحيرة والشعور بالذنب.

سيبذل مجهوداً رائعاً ليغسل جراحها بالحقد والفقدان، مبرراً هوس يديه بالإجهاد فتنسحب مخلفة إياه أمام الحيرة.

تصفعه هواجسه لما يبصر الضوء بالخارج.

تعود مجهدة، تنزع كفيه من نهديها، ولسانه من حلقها، وتدندن بلحن فجّ. تبصرها المرآة وحيدة، فتهمس لها معزية. تضع رأسها على الطاولة، تتخاصر والمرآة، تدخل رقصة هادئة ينصت لأغنية مغرقة فى اللوعة، يجرع أحزاناً مرّة صامتاً يدخل الوقت مقتفياً خطوة صغيرة

واثقة سيلعب بروفات كثيرة لإخفاء الدمع وراء قناع الضحك. يمرن كفيه جيداً على إشعال الحرائق بالأخريات سيصدق إيحاءه يظن أنه المنتصر.

ثمة مرارات تجئ تمشى على مهل.

.٢٠

مكتئباً يدخل الحياة بانطفاء.

وحدته سدرة صحراوية، تناوشها الريح.

تؤلمه عيناه من القراءة والتحديق بالفراغ، فيهمله الآخرون، ليعشق أحلام اليقظة والموسيقى الهادئة.

ستلقبه بالمغرور، لن تدرك خجله، تمزقه العائلى وحشيته الغافية. تسعى إليه ذئبة شرهة. تهيئ لنرجسيته متكئًا ليناً، وتؤطر ذلك بمرحها وصخبها.

الصباح ليس وقته، ينحنى المساء لخطوته النحيلة فيعبره الليل نصلاً يقدّ لحما نيئًا، تفاجئه أحزان بالشارع الخالى ومطر محايد.

ولأنه لا يؤمن بدور الدموع فى إثارة العواطف سيحترق كلفافة مهملة.

تهندس مجيئه الفجّ بأسرار الأخريات، تهب لروحه متسعا من الفضاء الرطب وعبوراً مريعاً بجسدها يتشظى كخزف أزرق.

لن يلتفت لماضيها الصاخب، يقشر رائحتها من جلود، وينزع من كفيه دفئها المحايد، مغنياً كذئب وحيد ليالى الشبق تحت قمر شاحب.

يقفز من اغترابٍ إلى غربة مسلماً روحه لإيقاع وحشىّ مسنداً. جسده المتهالك إلى الأريكة ويدخل رقصته الأخيرة.

ستبرر خيانتها بضحكة صاخبة، ودموع صادقة، لما يرحل سترمى جسدها للآخرين، باذلة مجهوداً رائعاً لتمتدح مواهبه وجمال أصابعه.

تقصّ لحبال الغسيل أوجاعاً وذكريات، مبررة هجرانها بقسوته الفظة أمام الآخرين.

تدارى كذبها بمشابك لامعة، لن تفلح فى إخفاء ما يسيل على حافة شفتها الغضة، وأصابعها المتعبة.

تنزلق بصمت قاس

الفهرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٢٧٩ / ٢٠٠٥

I.S.B.N. 977 - 01 - 9457 - 3